قلوب لا تموت

قراءة في رواية الأديبة نور الجندلي

تدور أحداث رواية (قلوب لا تموت) حول فتيات جميلات مثقفات ومقبلات على الحياة بكل مافيها من عقبات وجمال. يلتقين امرأة في الخمسين تغرس في طريقهن الأمل والخير والنور عبر فكرة (صندوق الأمنيات)..

الشخصية الرئيسية في الرواية هي الأستاذة عالية المرأة ذات الخمسين سنة. والتي تعيش وحيدة بعد وفاة زوجها. ومغادرة ابنها الوحيد (فراس) إلى بلاد الغربة منذ عشر سنين. فبقيت تتجرع مرارة الفقد وآلام الوحدة. هذه المرأة وجدت سعادتها في بسمة طفلة حضرت إليها يوما لتدعوها بكل براءة لشرب فنجان قهوة !!

بقلم: جميلة محمد الجوفان-السعودية

هذه الطفلة هي (مجد) التي قدمت هي ووالدتها للسكن في نفس مبنى الأستاذة عالية، ومنذ ذلك اليوم توطدت علاقة عالية بهذه الصغيرة، وأصبحت أمّاً ثانية لها، مستودعا لأسرارها، وبئرا لأفراحها وأحزانها.

تبدأ أحداث الرواية بلسان الأستاذة عالية متحدثة عن نفسها، عن وحدتها وآلامها «وحيدة أتألم، ألتحف غربتي، وتسيطر عليَّ الذكريات المرة القديمة، وتلوح لي صورة فراس» وتسترجع حديثا دار بينها وبين ابنها المغترب «سامحيني يا أماه، سأعود ذات يوم ومعي شهادة في جراحة القلب!!»

ثم تعود لتتحدث عن نفسها مرة أخرى وعن السنين القاسية التي قضتها منتظرة عودة ابنها الوحيد بلا جدوى..

ومن ثم تحدثنا عن فتاتها الصغيرة (مجد) والتي أصبحت فتاة جامعية مثقفة، وعن صديقات (مجد) اللاتي ارتبطن بالأستاذة عالية وتعلقن بها كذلك، واتخذن من منزلها مكانا للقاء شهري «مهما حصل لا يتخلفن عنه».

كل ذلك نعرفه من الأستاذة عالية، فقد اتخذت المؤلفة من سيل الذكريات هذا وسيلة للتعريف بشخصيات القصة قبل أن يحضرن حضورا شخصيا إلى مسرح الرواية، وكأنما تعمدت أن تشوق القارئ إلى اللقاء بهؤلاء الفتيات،

رابطة انتظار القارئ حضورهن للرواية بانتظار الأستاذة عالية حضورهن للموعد الشهري المعتاد الذي وافق ليلة ماطرة عاصفة الأمر الذي يبث القلق والخوف في نفس الأستاذة عالية.وفي نفس القارئ المنتظِر:

«صوت المطر في الخارج يرهبني، لكنني على يقين من أنهن سيأتين».

وتأتي نهاية هذا المشهد سريعة «جرس الباب يفرض نفسه.. هاقد أتين.. لقد صدق حدسي!!»

وهنا ينتهي الفصل الأول ليبدأ الفصل الثاني بدخول هؤلاء الفتيات، ومازالت القصة تروى بلسان الأستاذة عالية .

«لقد حضرن أخيرا.. يالهن من رائعات! أمام المدفأة وقفن يحاولن تجفيف معاطفهن المبتلة، همساتهن تطرق أبوابي جذلا، وضحكات» ميس «تجبرني على الضحك فتنعش جدران بيتي القديم بأنس المحبة» .

ثم يبدأ حوار سلس شيق بين شخصيات القصة .. نتعرف من خلاله على هؤلاء الفتيات (مجد- ميس – لميس – شروق) كما نتعرف على شخصية كل واحدة منهن من خلال هذا الحديث، مجد طيبة القلب رقيقة المشاعر، ميس الطيبة الحساسة، وسارة المهتمة بهندامها ومظهرها، وشروق المتحفزة الطموحة.

وكانت هذه الليلة مختلفة، إذ كان لدى الأستاذة عالية مفاجأة، وقد أعدت للفتيات شيئا مميزا.. وانتظرت الفتيات بلهفة وشوق..

وحان موعد البوح...

أخرجت الأستاذة عالية صندوقا صغير الحجم مزخرفا بطريقة جذابة، مغلقاً من كل جوانبه إلا فتحة صغيرة في أعلاه، وقالت لهن: «الحياة صندوق صغير مثل هذا، يضم في داخله كل الأحداث التي نمر بها، التطلعات والأحلام، والأمنيات.... سيحوي هذا الصندوق حياة كل واحدة منكن ويضم أمنياتها في عام كامل تسعى خلاله لتحقيق ما تمنته ، سأعطي كل واحدة منكن ورقة وقلما، لتكتب أغلى ما تتمنى تحقيقه خلال عام، ستفوز صاحبة الأمنية الأجمل .... سأهدي الفائزة قلادة ثمينة جدا ورثتها عن جدتي»

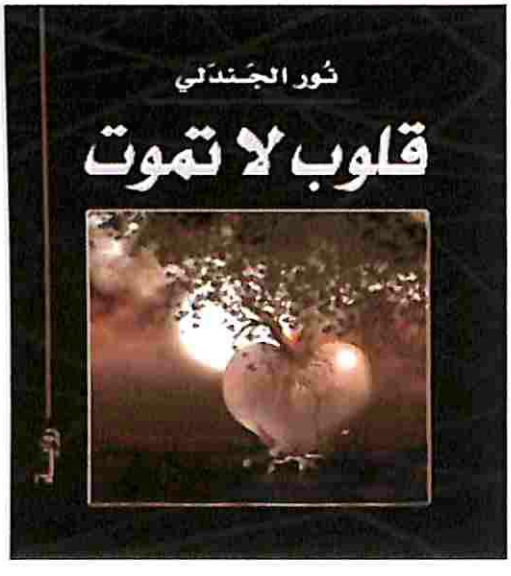

ومن هنا من «صندوق الأمنيات» تبدأ الحكاية.. حكاية تمتد لعام كامل.. نعيش فيه مع شخصيات القصة حياتهن الخاصة، ونشاركهن أحلامهن وأمنياتهن، أحداث تمر، ووقائع تحدث، بعضها مفرح وآخر حزين.. تتفرق فيه بطلات القصة في دروب الحياة، كل مع أمنيتها وبيئتها وظروفها المختلفة، وتلتقي أحيانا في مناسبات قليلة،وتظهر لنا الأستاذة عالية بين الحين والآخر مشاركة أو معلقة أو ناصحة أو متأملة.

فماذا تمنت هؤلاء الفتيات؟؟ وماذا فعلن لتحقيق هذه الأمنيات؟؟ ومن التي فازت بالقلادة الثمينة؟؟ أسئلة كثيرة إجابتها بين طيات هذه الرواية الممتعة..

وكما بدأت الرواية بحديث الأستاذة عالية تختم أيضا بحديثها العذب: «فتعلمت أن الخير لا يمحى، وأن العمل الصالح لا يفنى، وبأن الحب يخلد ويبقى في أعماق قلوب لا تموت!!!»

لقد اتخذت الكاتبة من «صندوق الأمنيات» وسيلة ذكية لتنطلق منه في رحلة شيقة في قلوب الفتيات، ولتبحر من خلاله في بحر أمنياتهن الهائج، فتعرفنا عن طريقه على أحلام الفتيات وأمنياتهن ومشاعرهن والمشكلات التي قد تعترض طريقهن، إنه إبحار شيق وعميق.

وقد تعرضت الكاتبة لأهم المشكلات التي تحدث للفتاة وتؤرقها كالحب، والزواج، والمال، والشهرة، والحجاب، والإنترنت، والمظهر الخارجي للفتاة، والرشاقة.

كما تناولت المشكلات الأسرية كانشغال الأم بالعمل، وإدمان أحد أفراد الأسرة على المخدرات، وعلاقة الأم بابنتها والعلاقة بين الزوجين، وغيرها الكثير من القضايا والمشكلات والتي عالجتها الكاتبة ببراعة وسلاسة، وبأسلوب غير مباشر وذلك عن طريق «الأستاذة عالية» وإن كانت تجنح – في بعض الأحيان – للإسهاب في إبداء رأيها في هذه القضايا إلا أنه إسهاب غير مخل، يكاد أحيانا أن يخرج بالقصة عن مسارها الروائي إلى مسار وعظي تربوي مباشر، إلا أن الكاتبة تعود بنا بسرعة وببراعة فائقة إلى الأسلوب الروائي الشائق، تقول متحدثة عن النجاح بلسان الأستاذة عالية: «أخبرتهن أن في الحياة نجاحات متجددة، ولا توجد قمة ينتهي عندها النجاح، فالمرء كلما صعد درجة في سلم نجاحه فإن بصره ينتقل إلى الدرجة الأخرى حتى يصل إليها، وهكذا يمضي العمر وقد أنجز سيلا من النجاحات المتميزة، وترك بصمة جادة، تنفعه وتنفع أمته» و تقول عن عيد الحب على لسان شروق الفتاة الغنية:«مسكين الحب! أحكموا عليه الحصار، وزجوا به في يوم يتيم. وقالوا له: إنه عيدك، وطالبوا الناس أن يحب بعضهم بعضا في هذا اليوم، وأن يرتدوا اللون الأحمر، كمن

يبحث عن دليل ليصدقه الناس بأنه حقا يحب!» ويبدو هذا الكلام بعيدا عن شخصية شروق قريبا لشخصية الأستاذة عالية.

وقد أعطت الكاتبة قضية (الحب) نصيبا كبيرا من الحديث، ولعل ذلك راجع إلى أهمية هذه القضية في حياة الفتيات اليوم، وتحدثت عنها بأسلوبها الجميل الممتع، مفرقة بين حب وحب، فهاهي مجد تتكلم عن حبها لخطيبها الغائب المجاهد جلال: «هل على المحب أن يتذوق آلام الفقد كي يحب أكثر، أم أن عليه أن يجلد بسياط المعاناة! كتبت بلغة الحب النقي الطاهر عن جلال، ومزقت صفحة ليلة حزينة» وتقول عن حب آخر وقعت فيه شروق متحدثة بلسان الأستاذة عالية: «آه يا شروق! كم أيقظت رسائلك القصيرة هذه في داخلي من معانٍ. وكم بت أخشى الحب وهو يتنكر كل مرة بزي مختلف يخدع ببساطة بني البشر، يتجمل لهم بهيئات وفنون كي يعشقوه ويغدو لهم هدفا فيسعون إليه.....» حتى تقول: «وهكذا تتلون أشياء كثيرة بلون الحب، ونتبعها فلا ندري أيها المعدن الأصيل، ونخدع فنندم، ونلوم الحياة، ونحن الذين صنعنا البؤس وأسكناه في داخلها» وفي موضع آخر تتكلم الكاتبة عن الحب بأسلوب مباشر أكثر: «ذكريهم بقول رسولهم صلى الله عليه وسلم لما سئل عن أحب الناس إليه فقال دون تردد (عائشة ثم أبوها) قالها منذ أكثر من ألف وأربع مئة عام معلنا سيادة الحب الطاهر العفيف على القلب، ذكريهم بحبه للسيدة خديجة رضي الله عنها ووفائه لها، وكيف كان يكرم صديقاتها..»

واستخدمت الكاتبة الرسائل المتبادلة بين شخصيات الرواية لتنير بعض جوانب القصة، فهذه رسالة من جلال خطيب مجد، والذي يعمل مراسلا في العراق: «إنها الحرب يا مجد، لم تبق ولم تذر! سرقت بضع

دقائق من وقتي كي أراسلك، اشتقت إليك شوق العراق للسلام، امنحيني من قلبك النقي بعض الدعوات....»

وتستخدمها أيضا الكاتبة ببراعة لتقديم النصائح بطريقة غير مباشرة، فهذه الأستاذة عالية ترسل لسارة رسالة ردا على رسالة وصلتها منها: «ابنتي سارة... الحب والتفاهم بين الزوجين لا يأتي ببساطة، قد تعانين يا سارة من اختلاف بينكما، ولكن كوني حكيمة وحاولي أن تجدي طريقا يوصلك إلى قلبه...»

أما لغة الرواية فهي لغة راقية عذبة، تمتاز بالسهولة والبساطة، وتتوشح بوشاح أدبي جميل، لغة قريبة بعيدة، سهلة ممتنعة، بسرد ممتع وحوار شائق، تتخلله صور ذات رونق وبهاء، مستوحاة – في الغالب- من الطبيعة ومنها:

«بقيت أحدق بعينين مفتوحتين خلف نافذة تطل على المطر، أنتظر اخضرار العشب بعد رحيل العاصفة!»

«إنها أشبه بإنسان تاه طويلا في صحراء جرداء لا ماء فيها، وأخيرا وصل إلى واحة أنعشته فقرر أن يشرب كل الماء الذي فيها».

«ابتسمت سهى ابتسامة خفيفة تعلن نصرا، وتابعت تمارس جنونها الليلي مثل شبح تائه يبحث عن فريسته».

إننا أمام رواية أدبية، واقعية، ممتعة.. تلامس واقع الفتيات وتتحدث بلسان حالهن، رواية تستحق الاقتناء.. وتستحق القراءة..

تقع الرواية في (٢٠١) صفحة من الحجم الصغير، حصلت على جائزة الرواية لعام ٢٠٠٦م لدار الفكر بدمشق ■

سطور من ملحمة.. كُتبت بماء الفرات..

د. صالحة رحوتي- المغرب

صخب، وتنتشر أنفاس المجداف بعيدا، والنهر ينساب رغم أكوام الغضب تتمخض فيه... يبغون القارب للجثث، وتبغيه من أجل القوت..

لن تضيف للجثث أعدادا أخرى فالجوع تحالف... ويضخم لائحة المفقودين.

الشمس شعاع يحتضر، وهي «المارقة» من حوش القانون يحتضر فيها الأمل في فسحة وقت، قد توصل فيها قليل طعام بطعم الموت لأبنائها.

سواعد، ورصاص يتحدى... والقاتل قتل المقتول.. والقاتل أصبح مقتولا... و...العائل اغتيل ما كان له في الحرب ناقة ولا جمل...

والسمك ما عاد يغريه الطعم... لحوم تتناسل منها الأكداس... روائح... والجثث فوق الماء تتبجح بظهور ما عاد يقرف أحدا إلا هم... يرومون جمع الجثث.. تصرخ: أن ها نحن القتلى... فما بعد؟؟؟

والنهر - كما كان - ما زال ينساب برفق رغم فلول عصور وأناس مروا... ورغم أكوام الغضب تتزاحم فيه...